عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال 10.54239/2319-021-001-010 (DOI)

الحركة العلميّة الجزائريّة في الثّلث الأوّل من القرن العشرين من خلال الخطاب الرّحلي التّونسي (1904-1927)

The Algerian scientific movement in the first third of the twentieth century through the discourse of Tunisian travels (1904 -1927)

د. كمال مجيدي*
جامعة العقيد أحمد دراية-أدرار- الجزائر
kamelmajidi@yah.fr

تاريخ الإرسال: 2021/12/19 تاريخ المراجعة: 2021/12/29 تاريخ القبول:2022/03/08

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند النّصّ الرّحلي التّونسيّ إلى الجزائر خلال الثّلث الأوّل من القرن العشرين؛ أي من 1904م إلى 1927م؛ ليكتشف كيف قارب هذا النّصّ الحياة العلميّة في الجزائر؛ **إنطلاقا من مؤسّساتها الدّينيّة والعلميّة، وجمعيّاتها الخيريّة؛ وهذا روما منّا، في الوقت نفسه، إلى تصوير الحركة العلميّة في هذه الفترة، والوقوف عند روّادها، وطرقهم في إحيائها وبعثها من جديد لتمارس حضورها.**

تحقيق ما ذكرناه من قبلُ، يستدعي الوقوف عند حقيقة الرّحلة في اللّغة والإصطلاح، ومدى إنفتاحها على المعارف المتنوّعة في العلوم الإنسانيّة، وأنّها مصدر ثريّ في دراسة حياة المجتمعات في الميادين جميعها، وأنّ الحياة العلميّة الّتي حاول الإستعمار، خلال هذه الفترة، جاهدا وأدها كانت نشطة بنشاط علمائها ومؤسّسيها. وإذا كانت هذه النّصوص الرّحليّة وغيرها كثير بذل فيها أصحابها جهدا في تصوير حياة المجتمعات، ونقل كلّ ما وقعت عليه أعينهم في الميادين جميعها أفلا يحقّ للباحثين اليوم أن يبذلوا جهدا كبيرا ؛ لإستكناه هذه الأبعاد الحياتيّة جميعها؟

* الدّكتور كمال مجيدي/ جامعة أدرار، الجزائر

الكلمات المفتاحية: الحركة العلميّة؛ الجزائريّة؛ العلماء؛ الأدباء؛ الرّحلات؛ التّونسيّة، المؤسّسات التّعليميّة؛ الجمعيّات.

Abstract :

this research aims to stand at the Tunisian of travel text Algeria during the first third of the twentieth century; that is from 1904 ad to 1927 ad. This is in order to know the scientific life in Algeria, as illustrated by the Tunisian trips.

In order to achieve its objective in this research, we began to study the trips in its linguistic concept and then the terminology, and that the trips are among the topics that are pen t many sciences and human cultures, and that the Tunisian trips in the third of the twentieth century shoed that life in Algeria as active with a large number of sheikhs and scholars.

This trips, written by Tunisians, and in which they talked about the scientific life in Algeria at the beginning of the twentieth century; we must study well: Let's define the scientific life, and the scientific and social institutions that were prevalent in this period.

Keywords :scientific movement; the Algerian; scientists; writers; flights; Tunisian; educational institutions; associations.

مقدّمة:

حظي المغرب العربي، كغيره من البلاد العربيّة والإسلاميّة، بإهتمام كبير من الرّحّالة العرب وغيرهم من بلاد العالم، وظلّت الجزائر، وهي جزء من بلاد المغرب العربي، في تاريخها الطّويل وبموقعها الإستراتيجي، وبمناطقها الشّاسعة والمتنوّعة، وبعمرانها وبعادات سكّانها وتقاليدهم المختلفة، مركز إستقطاب للعديد من الرّحالة بمختلف جنسياتهم، وإهتماماتهم وتخصّصاتهم، فزاروها وكتبوا عنها، ورصدوا كلّ ما شاهدوه وسمعوه، وسجّلوا ما وقعت عليه أعينهم، والباحث، اليوم، في النّص الرّحلي الغربي والعربي إلى بلاد المغرب قديما وحديثا يجد حضورا كبيرا للجزائر.

لقد شهدت الفترة الإستعماريّة الممتدّة على إثنتين وثلاثين ومائة سنة زيارات لرحّالة غربيّين وعرب، فهذا هيلتون سيمبسون يكتب عن الأوراس، وهنري دوفالي عن الصّحراء، وجون هيربيال عن بسكرة، و.أ. ليسور و. و. ويلد عن إيالة الجزائر في كتابيهما

(رحلة طريفة في إيالة الجزائر). وزارها بعض الرّحالة العرب، من مصر محمّد فريد عام 1900م، ومن تونس الشّيخ محمّد الخضر حسين عام 1904م، وأحمد حسن المهيري عام 1922م، وسعيد أبو بكر والطّيّب بن عيسى عام 1927م.

هؤلاء الرّحّالة العرب المحدثون الّذين زاروا الجزائر اِخترنا منهم الرّحالة التّونسيّين خلال الثّلث الأوّل من القرن العشرين، فمن هم هؤلاء؟ ولمَ وقع اِختيارنا على هذه الشّخصيات بالذّات؟ وما حقيقة الرّحلة؟ ولِمَ عدّدت من النّصوص المنفتحة على حقول معرفيّة كثيرة؟ كيف صوّر النّصّ الرّحلي التّونسي الحركة العلميّة في الجزائر خلال هذه الفترة؟ وإلى أي مدى تصدَّق الأطروحة القائلة: إنّ المستعمر اِستطاع أن يمحوَ ملاح الرّوح العلميّة لدى علماء الجزائر ومثقّفيها في هذه الفترة بالذّات؟ وما قيمة هذه النّصوص الرّحليّة وغيرها في تدوين الحقائق التّاريخيّة للجزائر في مختلف ميادينها خلال الفترة الإستعماريّة؟

1- في حقيقة الرّحلة و اِنفتاحها على حقول معرفيّة:

1-1- الرّحلة لغة :

النّظر في المعاجم اللّغوية يوصلنا إلى أنّ مشتقّات المادّة جميعها تدور حول المعاني الآتية: السّير والإنتقال والوجهة أو المكان الّذي يراد السّفر إليه، وهذه المعاني يمكن إدراجُها تحت محور واحد هو الحركة؛ لأنّ الرّحلة في مفهومها هي حركة وإنتقال، «فالحركة روح الحياة، وهي سمة أساسيّة في التّركيب الجسدي والنّفسي للإنسان، وقد هيّأه الله لها، وجعلها إمكانيّة ضروريّة لحياته، تتّسق مع الهدف من إيجاده والغاية الّتي خلق لأجلها، وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى» (فؤاد قنديل، 2002: 17).

جاء في لسان العرب أنّه يقال: «رحل الرّجل إذا سار (...)، وقوم رحّل؛ أي يرتحلون كثيرا، والرّاحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار (...)، وناقة رحيلة: أي شديدة قوية على السّير، (...)، واِرتحل البعير رحلة: سار فمضى، ثمّ جرى ذلك في المنطق، حتّى قيل: اِرتحل القوم عن المكان اِرتحالا، ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل من قوم رحّل: اِنتقل (...)، وقال بعضهم: الرِّحلة الإرتحال، والرُّحلة، بالضّمّ الوجه الّذي تأخذه فيه وتريده» (اِبن منظور، (د.ت): 5/ 171، 172).

العربيّ كان يختار البعير القويّ القادر على تحمّل مشاقّ الأسفار وثقل الأحمال، جاء في (لسان العرب) أنّ: «أرحل الرّجل البعير (...) إذ أخذ بعيرا فجعله راحلة (...) والرّاحلة من الإبل، البعير القوي على الأسفار والأحمال، وهي الّتي يختارها الرّجل لمركبه ورحله» (ابن منظور، (د.ت): 5/ 172). وقال الفيروز آبادي: «الرّحلة بالضّم والكسر أو بالكسر: الإرتحال، وبالضّمّ الوجه الّذي تقصده والسّفرة الواحدة» (الفيروز آبادي، (د.ت): 2/ 394). وجاء في المعجم الوسيط: «رحل عن المكان، رحلا ورحيلا وتَرحالا، ورحلة سار ومضى (...) والرّحلة: الإرتحال . كتاب يصف فيه الرّحّالة ما رأى» (إبراهيم أنيس، (د.ت): 1/ 334، 335).

2. 2- الرّحلة إصطلاحا:

إنّ أوّل ما نستنتجه، نحن نقف عند المفهوم الإصطلاحي أنّ تسميات هذا اللّون من النّصوص تعدّدت، إنطلاقا من الخلفية المعرفيّة الّتي ينطلق منها الباحثون، والميدان الّذي يشتغلون فيه، والهدف الّذي ينشدونه من وراء مقاربة هذه النّصوص، فمرّة نجد مصطلح " الرّحلة "، وثانية " أدب الرّحلة "، وثالثة " النّصّ الرّحلي "، والّذين يقولون بالمصطلح الأوّل يسعون إلى ترك هذا النّصّ بين أيدي الباحثين في العلوم الإنسانيّة؛ نظرا لما فيه من علوم ومعارف مختلفة، كالتّاريخ والجغرافيا والسّيرة واليوميات والتّراجم والأنتروبولوجيا.

إنّ المروّجين للمصطلح الثّاني ينشدون من ورائه تجنيس هذا النّصّ تحت المنظومة الأدبيّة السّرديّة، والقائلون بالمصطلح الثّالث يرون أنّه: «نصّ لغويّ محوّل قائم بعناصره ورؤاه، يقود إلى التّعامل معه بوصفه نصّا مفتوحا على خطابات متعدّدة، ممّا يجعل مفهوم الرّحلة (...) يظلّ دوره ملتبسا وعامّا (...)، ممّا يدعو بالضّرورة إلى فهمه في تعدّديته من خلال النّصوص ودرجات الوعي به» (حليفي شعيب: 2002: 39). وسنقف عند المصطلحين الآتيين: الرّحلة، وأدب الرحلة، فما المقصود بهما؟

أ-الرّحلة: قال الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدّين): إنّ الرّحلة « نوع حركة أو مخالطة، أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقّة» (أبو حامد الغزالي، (د.ت): 1080)، وجاء في دائرة المعارف أنّ الرّحلة «إنتقال واحد –أو جماعة- من مكان إلى آخر، لمقاصد مختلفة، وأسباب متعدّدة» (بطرس البستاني: 1884: 8/ 564). وهي

كذلك: « فنّ عريق من الفنون النّثرية الّتي ضمّنها كتّابها أخبار أسفارهم وسياحتهم ومغامراتهم البريّة والبحريّة، وما اِنطوى عليه من غرائب وعجائب، وما قاسوه في ثنايا تلك الرّحلات من الفظائع والأهوال، وما شاهدوه في البلدان والأصقاع والمناطق الّتي دخلوها من أحوال ساكنيها وعاداتهم وتقاليدهم الاِجتماعيّة ونظمهم السّياسيّة ومظاهر عمرانهم» (أحمد الفاضل، 2003: 54).

نستنتج ممّا ذكرناه من قبل ما يلي:

-مشتقّات مادّة (رحل) تدلّ على: السّير، الاِنتقال، الحركة.

-المفهومان اللّغوي والاِصطلاحي يتقاطعان في معنى الحركة.

ب-أدب الرّحلة:

جاء في (معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب) أنّ أدب الرّحلات: «مجموعة من الآثار الأدبيّة الّتي تتناول اِنطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيه لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطّبيعيّة الّتي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في وقت واحد» (مجدي وهبة، كامل المهندس: 1994: 17)، وذكرت الموسوعة العربيّة العالميّة أنّ أدب الرّحلة هو « ذلك الأدب الّذي يصوّر فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد» (مجموعة من العلماء، 1999: 136/11) ، وقالت الباحثة أسماء أبو بكر: إنّ نصّ الرّحلة هو «فنّ من فنون القول العربي، يصف مجالات الحياة عند الرّحّالة الّذي سجّل رحلته، أو حكاها لغيره ثمّ سجّلها» (أسماء أبو بكر: 1992: 11).

إذًا أدب الرّحلة هو مجموعة من الآثار الأدبيّة، وفنّ فيه وصف وتسجيل دقيق للمناظر المشاهدة والأمكنة، وسرد وحكي، وبدايات ونهايات، ووصف للأشخاص، «فمادّة أدب الرّحلات، وإن لم تصل إلى مستوى الفنّ القائم بذاته كالفنون الأخرى: القصّة أو الشّعر أو المسرحيّة أو المقالة الأدبيّة، مثلا، إلّا أنّ أساليب هذه الفنون ومضامينها تجتمع –بشكل عامّ- في أدب الرّحلات» (حسن حسني حمود، 1983: 11) ، ووجود هذه الملامح الأسلوبيّة في النّص الرّحلي، واِنفتاحه، في الوقت نفسه، على حقول

معرفيّة أخرى جعل النّقد يطرح أسئلة جديدة حول إشكالية المفهوم والتّجنيس والتّصنيف.

2-3- في إنفتاح الرّحلة على حقول معرفيّة متنوّعة:

الرّحلات نصوص منفتحة على حقول معرفيّة كثيرة ممّا يصعب تجنيسها تحت جنس معرفيّ معيّن، يستقي منها الأديب والمؤرّخ والجغرافيّ والأنثروبولوجي، يقول شعيب خليفي: « والرّحلة نصّ مفتوح لا يمكنه أن يتسيَّج في خانة محدّدة، تجنّسه بصفة معيّنة تضيّق من تحرّره وإتّساعه وإنتشاره، و" هجومه الضّروريّ " على حقول أخرى، لهذا فإنّ القول بنصّيتها هو إنفتاح على ديناميّة الرّحلة، وعلى خطاباتها المستندة على طرفي الذّات والآخر، وجسور التّعبيرات المختلفة حولها» (حليفي شعيب، 2002: 40).

الرّحلات نصوص تتعرّض إلى جميع نواحي الحياة، يقول حسن محمّد حسني: «إنّ نمط الرّحلات يتعرّض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، وإذ تتوفّر فيه مادّة ممّا يهمّ المؤرخّ والجغرافيا وعلماء الإجتماع والإقتصاد ومؤرّخي الآداب والأديان والأساطير، فالرّحلات منابع ثرّيّة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقيّ لمختلف مظاهر الحياة، ومفاهيم أهلها على مرّ العصور » (حسن محمّد حسني، 1983: 6). وهذا الإنفتاح والتّعددّ المعرفي منح لنا مشروعيّة البحث في الحياة الثّقافيّة للجزائر في هذه الفترة من خلال هذه النّصوص الرّحليّة.

3- مظاهر الحركة العلميّة في المؤسّسات التّعليميّة والجمعيّات:

زار الجزائر في الفترة الزّمنيّة الممتدّة من: 1904م إلى 1927م رحّالة تونسيّون، هم: الشّيخ محمّد الخضر بن الحسين عام 1904م (أُنظر التّعليق رقم: 1) ، وأحمد حسين المهيري عام 1922م (أُنظر التّعليق رقم: 2) ، وسعيد أبو بكر عام 1927، (أُنظر التّعليق رقم: 3)، والطّيّب بن عيسى عام 1927م، (أُنظر التّعليق رقم: 4) ، وهذه الرّحلات جمعها محمّد صالح الجابري في كتابه (خمس رحلات إلى الجزائر) (أُنظر التّعليق رقم: 5)، وإمتدّ مسار هذه الرّحلات عبر المدن الآتيّة: تبسّة، سوق أهراس، عين البيضاء، قسنطينة، قالمة، باتنة، واد سوف، بسكرة، بوسعادة، الجزائر، رصد ووصف هؤلاء الرّحّالة كلّ ما وقعت عليه أعينهم في الميادين جميعها.

ثمّ إنّ الحديث عن المؤسّسات التّعليميّة من مدارس وزوايا وجمعيّات في ظلّ الإحتلال الفرنسي، يستوجب منّا أن نذكر أنّ الكثير من المصادر تجمع على أنّ العلم كان منتشرا بين الأهالي بفضل إنتشار هذه المؤسّسات التّعليميّة، وأنّ العلماء دافعوا عنها، ورفضوا إحلال الفرنسيّة مكان العربيّة، فها هو الشّيخ عبد الحميد بن باديس يرفض التّخلّي عن مدرسة واحدة من هذه المدارس حينما طالبه الإستعمار بذلك، يقول: «لا يمكن أنّ تحلّ الفرنسيّة، وتطرد العربيّة من هذه المدرسة حتّى تخرج روحي من جسدي» (أحمد طالب الإبراهيمي، (د.ت): 7).

كان لإبن باديس وثلّة من الوطنيّين المخلصين الدّور البارز في إنشاء الكثير من المدارس الحرّة، منها: مدرسة جمعية التّربيّة والتّعليم الإسلامية بقسنطينة عام 1917، ومدرسة الإخاء ببسكرة عام 1921، ومدرسة الموفقيّة بسكيكدة عام 1929، ودار الحديث بتلمسان عام 1937. (مصطفى محمّد حميد اتوا، 1997: 120)، إذاً فما هي المؤسّسات الدّينيّة والتّعليميّة والجمعيّات الّتي وقف عليها هؤلاء الرّحّالة، وما دورها في الحركة العلميّة؟

3-1- في المؤسّسات التّعليميّة والمكتبات:

ذكر هؤلاء الرّحالة بعضا من هذه المدارس والمكتبات الّتي زاروها، يقول الشّيخ محمّد الخضر حسين في قسنطينة: «بهذه المدينة مدرسة إسلاميّة معدّة لتخريج القضاة والعدول، وثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة: الجامع الكبير، والجامع الأخضر، وجامع سيدي الكتّاني» (محمّد صالح الجابريّ، 2004: 31)، ويقول في المدرسة الثّعالبيّة: «... وزرنا (...) المدرسة الثّعالبيّة الّتي تمّ بناؤها في هذه السّنة، وافتتحت بإحتفال رسمي يوم الإثنين 17 أكتوبر، وأسّست هذه المدرسة لتعليم الوطنيّين العلوم العقليّة والنّقليّة، ومنه يتخرّج القضاة والعدول» (محمّد صالح الجابريّ، 2004: ، 34). وكانت المكتبة العموميّة في الجزائر زاخرة بكتب نادرة، يقول فيها: «وزرنا المكتبة العموميّة، فرأينا فيها عددا من الكتب الغريبة مثل (القبس على موطّأ مالك بن أنس، و(ترتيب المسالك على موطّأ الإمام مالك)» (محمّد صالح الجابريّ، 2004: ، 44).

يقول أحمد حسين المهيري في حقّ الكتاتيب الّتي ألفاها في الشّريعة، وهو في طريقه إلى عين البيضاء: «وألفينا بها كتاتيب لتعليم القرآن الكريم على النّمط العتيق حيث إنّه

لازال يوجد بالقطر الجزائريّ جانب من الكتاتيب العربيّة لاسيما في الباديّة، كما يوجد في بعض مدنها كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، مع بعض من العلوم العصريّة والقصائد والأناشيد الحماسيّة، ومبادئ بعض العلوم، إلّا أنّ الكتاتيب الّتي من هذا النّوع قليلة جدّا، وتعوزها الأساليب العصريّة مثل الأساليب الموجودة بالمدارس القرآنيّة التّونسيّة» (محمّد صالح الجابريّ، 2004: 52).

3- 2- في الجمعيّات والنّوادي:

نشأت خلال الفترة الممتدّة من 1900م إلى 1918م جمعيّات ونوادي كثيرة ذكرها أبو القاسم سعد الله، منها: الجمعية الرّاشديّة: 1902م، والجمعية التّوفيقيّة: 1908م، وجمعيات واد ميزاب: 1913م، والجمعية الصادقيّة: 1913م . (أبو القاسم سعد الله، 1998: 200/5)، وأنشئت بعض النّوادي الثقافية، ذكر سعيد بورنّان بعضا منها، مثل: نادي صالح باي: 1907م، ونادي الشّبان المسلمين بقالمة. ونادي التّقدّم بعنابة (سعيد بورنّان: 2007: 238/2) .

كثرت الجمعيّات والنّوادي الّتي تقوم بالأعمال الخيريّة، يقول أحمد حسين المهيري، وهو بتبسّة: «كما اِجتمعنا بأعضاء الجمعيّة الخيريّة ورئيسها فوجدناهم قائمين بأعمال البرّ والإحسان أتمّ قيام، الأمر الّذي يوجب لهم الشّكر والثّناء» (محمّد صالح الجابري، 2004: 51)، وفي قسنطينة يقول: «زرنا (...) إدارة " الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة " فألفيناها على أحكم نظام، (...)، وهذا وقد اِجتمعنا بكثير من أعيان البلاد ، فوجدناهم متعطّشين إلى المدارس القرآنيّة، ومنتقدين للجمعيّة الخيريّة تهاونها في تعليم أبناء الفقراء، والحال أنّها في إمكانها تعليمهم » (محمّد صالح الجابري، 2004، 55، 56).

كان لنادي التّرقّي كلمة لدى الطّيّب بن عيسى، قال في حقّه: «وأحسن مظهر يدلّ على رقي ذوق الجزائريّ، وكمال اِستعداده إلى الأخذ بأسباب النّهوض هو تأسيسه لناد ضخم: " نادي التّرقّي " ولا أبالغ إن قلت: أن لا نظير له في الشّمال الإفريقي على الإطلاق وإن وجد فيكون ناديّا فرنسويّا لا وطنيّا. نادي التّرقّي يمثّل تنسيقا وتنظيما من أعلى الطّراز، وهو فخر الشّبيبة ومظهر قابليتها؛ للصّعود إلى أوجّ التّقدّم؛ لأنّ النّادي ضمّ

نخبة (...) للتّضامن على إحياء لغة البلاد بالمحاضرات والمسامرات الّتي تلقى به من عظماء الرّجال في المواضيع المختلفة » (محمّد صالح الجابري، 2004: 111).

للحركة الإصلاحيّة دور كبير في توعيّة السّكّان، يقول سعيد أبو بكر في بسكرة: «وفي بسكرة جماعة إصلاحيّة قويّة على رأسها الأستاذ الطّيّب العقبي، وعضداه السّيدان الأمين العمودي الوكيل ومحمّد العيد أحد متخرّجي جامع الزّيتونة، وأهمّ ما ترمي إليه هاته الجمعيّة القضاء على الرفات القديمة» (محمّد صالح الجابري، 2004: 73)

4- في العلماء والأدباء ومجالسهم العلميّة:

4-1- العلماء والأدباء:

الجزائر بها علماء وأدباء كثيرون، ينشطون في المؤسّسات التّعليميّة والدّينيّة، يقول الشّيخ محمّد الخضر حسين في حقّ الشّيخ محمّد بن شنب (أُنظر التّعليق رقم: 6): «وعرّجنا في إيابنا على محلّ السّيّد أحمد بن مراد المعدّ لبيع الكتب، فإلتقينا بالشّيخ محمّد بن شنب أحد المدرّسين بالمدرسة الثّعالبيّة، فأخذنا معه أطراف محاورة أطلعتنا على ما له من النّباهة التّامّة، والتّفقّه في الأمور الحديثة، زيادة عمّا له من التّفنّن» (محمّد صالح الجابري، 2004: 36)، وقال في حقّ الشّيخين أحمد البرغوني وإبراهيم بن السّلمي من باتنة: «لكلّ منهما فصاحة منطق، وسجيّة نزّاعة للأدب، ولأوّلهما شعر جيّد» (:محمّد صالح الجابري، 2004 33)، وقال في شيوخ عين البيضاء: «فإستنارت صدورنا تأنّسا بمحاوراتهم العلميّة» (محمّد صالح الجابري، 2004: 30). وفي حقّ الشّيخ عبد الحليم بن سماية (أُنظر النّعليق رقم: 7)، قال: «فإلتقيا بالشّيخ عبد الحليم بن سماية، فغمرنا بنفحاته خلقه النّاضر، وإختلب ألبانبا بفصاحة لسانه السّاحر» (محمّد صالح الجابري، 2004: 35)

أمّا أحمد حسين المهيري فيقول في حقّ علماء تبسّة وأدبائها: «هذا وقد إجتمعنا بثلّة من علماء تبسة وأدبائها، فألفيناهم من خيار القوم، ومن المتضلّعين في الفنون والآداب، مع شدّة التمسّك بالدّين الحنيف، كثّر الله من أمثالهم، وأعانهم على ما أنيط بعهدتهم» (المرجع نفسه: 51)، وفي بسكرة يقول: «...ومن الغد تقابلنا مع بعض علمائنا وأدبائها وأعيانها، وقد ألفينا من جميعهم أخلاقا عالية، وإحساسات راقيّة، نخّص

بالذّكر منهم الفاضل الأديب السّيد الأمين العمودي والوجيه السّيد عبد الله جرّاوي التّاجر ببسكرة » (محمّد صالح الجابري، 2004: 58، 59).

وأما عن الحركة الأدبيّة ومدى اِنتشار العربيّة في بسكرة فإنّ الرّحّال سعيد أبو بكر يقول: «الأدباء في بسكرة كثيرون، واللّغة العربيّة منتشرة هناك انتشارا حسنا، وكلّهم يكتبها ويقرؤها ويتكلّم بها. تجلس عند التّاجر فيتكلّم معك في الأدب، وتزور حنوت الحفّاف-الحلّاق-فيبدؤك بالحديث عن الأدباء، وتذهب إلى المقهى فتسمع المحاورات الأبيّة في بعض الأحيان، والجرائد التّونسيّة موجودة فيها بكثرة (...) وشعرائها أيضا كثيرون » (محمّد صالح الجابري، 2004: 75).

4-2- المجالس والمسامرات العلميّة:

لهذه المؤسّسات الدّور البارز في تعليم النّاشئة وإلقاء الدّروس، والمسامرات العلميّة، والنّاظر في رحلة الشّيخ محمّد الخضر حسين يجدنا مكثرة من العبارات الآتيّة: تسامرنا، عدنا إلى السّمر، شهدنا مجلسا، حضرنا درسا، تواصلت المسامرة ستّ ساعات، فجرت على بساط المسامرة، ويقول في حقّ مجلس حضره بتبسّة: «فجرت على بساط المسامرة مسائل بعضها في العبادات، وبعضها في غير ذلك (...) وممّا جرى في خاتمة المجلس لفظ " المنطاد "، وقلنا هو الآلة الّتي تطير في الهواء المسمّاة بالبالون، وهو لفظ عربيّ» (محمّد صالح الجابري، 2004: 28، 29).

لم يفته الكلام في طرق التّدريس بهذه المؤسّسات، والمنهج الّذي يسير عليه الشّيخ في إلقاء دروسه، فكانت هذه الدّروس بعيدة عن التّطويل والاِختصار، ولا تعرف الخلط بين المعارف، تحرّر المسائل بطرق علميّة وتحقّقها، وتعيد إنتاج المعرفة من جديد، يقول في حقّ مدرّس حضر درسه الّذي يدرّس فيه المختصر الخليلي: «...وشرع في تقريره بطريقة مقتصدة خالية عن التّطويل، بعيدة عن الاِختصار، وبإثر اِنقضائه عقدنا معهم مسامرة اِشتمل غالبها على تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ (التّوبة: 122)، وعلّقنا عليها ما حضرنا في فضل التّعليم والتّعلّم» (محمّد صالح الجابري، 2004: 28، 29)، ويقول: « ونستحسن من دروس هذا الشّيخ اِقتصاره في كلّ فنّ على تقرير

مسائله الّتي يشملها موضوعه، وعدم خلط بعضها ببعض » (محمّد صالح الجابري، 2004: 37).

الحوارات الّتي جمعت الشّيخ محمّد الخضر حسين مع الشّيوخ بيّنت أنّهم مهتمّين بطرق تدريس الموادّ الشّرعيّة، فها هو يسوق لنا حوارا جرى بينهم في مسألة منهجيّة تدريس المدرّسين العلوم الشّرعيّة وغيرها للطّلبة، يقول: « وتنفست مدّة المسامرة، فتواصلت حلقاتها نحو ستّ ساعات. جرّتنا المناسبة إلى الخوض في شؤون المدرّسين، فقلنا: ليس المدرّس حقيقة من يلقي المسائل على حسب ما تحويه الأوراق جيّدها على رديها من غير أن يعرضها على محكّ النّقد، ويزنها بمعيار النّظر؛ فإنّ من المسائل ما لم تحطّ التّآليف بتحقيقاتها وإستخراج خباياها» (محمّد صالح الجابري، 2004: 36).

خاتمة:

النّتائج الّتي توصلنا إليها والتّوصيّات نجملها في النّقاط الآتيّة:

-الرّحلات نصوص منفتحة على حقول معرفيّة متنوّعة وهي غنيّة من جهة معارفها؛ ولهذا فهي تستدعي قارئا متعدّد الإهتمامات، قادرا على تفكيك نصوصها.

-الرّحلات وإن كانت مصدرا تاريخيّا لمعرفة أحوال بعض المجتمعات أو إجتماعيّا أو جغرافيّا أو ثقافيّا، فهي تهتمّ أكثر بالحياة اليوميّة للسّكّان من حيث عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم.

-النّصّوص الرّحليّة التّونسيّة أعطت صورة واضحة عن الحياة العلميّة في الجزائر خلال الثّلث الأوّل من القرن العشرين.

-عرفت الجزائر في هذه الفترة علماء وأدباء ومصلحين، ومؤسّسات تعليميّة وجمعيات خيريّة، أدّت واجبها الوطني والإجتماعي والأخلاقي والحضاري.

-الحركة العلميّة في هذه الفترة كانت نشطة بنشاط العلماء والأدباء والطّلبة الّذين لم يتوانوا في أداء واجباتهم، وزاد في حركتها كثرة المسامرات، وطرق التّعليم الحيويّة والممنهجة الّتي سار عليها الشّيوخ في أثناء تدريسهم الطّلاب.

-الرّحلات بحاجّة إلى دراسات جديدة وجهد كبير من الدّارسين؛ لإستكناه معالم حياة المجتمعات في الميادين جميعها.

-التّعليقات:

-**التّعليق رقم 1:** الشّيخ محمّد الخضر بن الحسين (1873-1958)، ولد في نفطة بالقطر التّونسي، تحصّل على شهادة التّطويع عام 1898م، أسند إليه التّدريس بجامع الزّيتونة، هاجر إلى دمشق عام 1912م، ملتحقا بعائلته الّتي سبقته في الهجرة، وفي عام 1920م هاجرها إلى مصر، وبقي هناك إلى أن وافته المنيّة عام 1958م.

-**التّعليق رقم 2** : أحمد حسين المهيري من مواليد صفاقس عاصمة الجنوب التّونسي، درس في الزّيتونة له مواقف نضاليّة مع الإستعمار، أصدر جريدة العصر الجديد عام 1920، صادرها الإستعمار عام 1924، وأعيد بعثها من جديد عام 1934

-**التّعليق رقم 3** : سعيد أبو بكر (1899-1948)، من مواليد بلدة المكنين بالسّاحل التّونسي، زاول تعليما بسيطا في قريته، وشارك في تحرير عدد من الصّحف، أصدر مجلّة العالم، وتونس المصوّرة، وله ديوانان شعريّان: السّعيديّات والزّهرات.

التّعليق قم :4 الطّيّب بن عيسى (1885-1966)، من أصل جزائريّ ولد بتونس، درس في الزّيتونة، ساهم في إصدار وتحرير بعض الصّحف، أنشأ عام 1911 جريدة المشير، ثمّ جريدة الوزير عام 1920 .

-**التّعليق رقم 5:** وهذا الكتاب جمع فيه محمّد الصّالح الجابري خمس رحلات، وهي:

1- رحلة حسين محمّد الخضر: الرّحلة الجزائريّة 1904.

2- رحلة المهيري أحمد حسين: الرّحلة الجزائريّة 1922.

3- رحلة سعيد أبو بكر: شهران في عمالة قسنطينة 1927-1928.

4- رحلة بن عيسى الطّيّب: الجولة الجزائريّة 1927.

5- رحلة حمزة بوكوشة: جولة من التّلال إلى الرّمال 1932.

واستثنيت الرّحلة الأخيرة؛ لأنّها لشاعر جزائريّ من مواليد واد سوف عام 1904 بالجنوب الجزائريّ، درس بالزّيتونة وتخرّج منها عام 1930، نشر قصائد كثيرة في جريدة الوزير التّونسيّة، توفّي عام 1994.

-التّعليق رقم 6 : محمّد بن العربي بن محمّد بن شنب (1869-1929)، ولد في مدينة المديّة (الجزائر)، حفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ العلوم على يد مشايخ، تحصّل على درجة الدّكتوراه، وعيّن أستاذا بجامعة الجزائر، له مؤلفات كثيرة.

ز-التّعليق رقم: 7 عبد الحليم بن سماية (1866-1933) ولد بالجزائر، ينحدر من أصل تركي (أزمير)، اسمه عبد الرحمان حسين ابن سماية، تعلم على يد والده (...) عينته الإدارة الفرنسية معلما للغة العربية، ثم عين أستاذا بالمدرسة الثعالبية، نشر مقالاته الفكرية والاجتماعية في صحيفة كوكب إفريقيا، ويعد أحد الشخصيات الثقافية والفكرية في الجزائر.

قائمة المصادروالمراجع:

1-إبراهيم أنيس وآخرون، (د.ت)، المعجم الوسيط، الطّبعة الثّانيّة، بيروت: دار الفكر.
2-الإبراهيمي أحمد طالب، (د.ت)، من تصفية الإستعمار إلى الثّورة الثّقافية، الطّبعة الأولى، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع.
3-أبو بكر أسماء، (1992)، اِبن بطّوطة: الرّحل والرّحلة، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
4-اتوا مصطفى محمّد حميد، (1997)، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، الطّبعة الأولى، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية.
5-بطرس البستاني، (1884)، دائرة المعارف، (د.ط)، بيروت: مطبعة المعارف.
6-بن عيسى الطّيّب. (2004). الجولة الجزائريّة 1927. (الجابري محمّد صالح)، خمس رحلات إلى الجزائر، الطّبعة الأولى، أبو ظبي: دار السّويدي للنّشر والتّوزيع، ص.ص (107-113).
7-بورنان سعيد، (2007)، شخصيات بارزة، في كفاح التحرير (1830م-1962م)، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي، الطّبعة الثّانيّة، الجزائر: دار الأمل.
8-حسين محمّد الخضر. (2004). الرّحلة الجزائريّة 1904. (الجابري محمّد صالح)، خمس رحلات إلى الجزائر، الطّبعة الأولى، أبو ظبي: دار السّويدي للنّشر والتّوزيع، ص.ص (27-44).
9-حمود حسن حسني، (1983)، أدب الرّحلة عند العرب: حسن حسني محمود، الطبعة الثّانيّة، بيروت: دار الأندلس للطّباعة والنّشر.
10-حليفي شعيب، (2002)، الرّحلة في الأدب العربي: التّجنيس، آليّات الكتابة، خطاب المتخيّل، (د.ط)، القاهرة: الهيئة العامّة لقصور الثّقافة.

11-سعد الله أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثّقافي، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.
12-سعيد أبو بكر. (2004). شهران في عمالة قسنطينة 1927-1928. (الجابري محمّد صالح)، خمس رحلات إلى الجزائر، الطّبعة الأولى، أبو ظبي: دار السّويدي للنّشر والتّوزيع، ص.ص (67-104).
13-الغزالي أبو حامد الغزالي، (د.ت)، إحياء علوم الدّين، القاهرة: دار الشّعب، (د.ط).
14-فؤاد قنديل، (2002)، أدب الرّحلة في التّراث العربي، الطّبعة الثّانيّة، القاهرة: مكتبة الدّار العربية للكتاب.
15-الفاضل أحمد، (2003م)، تاريخ وعصور الأدب العربيّ، الطّبعة الأولى، بيروت: دار الفكر اللّبناني.
16-الفيروز آبادي، مجي الدّين محمّد بن يعقوب، (د.ت)، القاموس المحيط، (د.ط)، بيروت: دار الجيل.
17-مجدي وهبة وكامل المهندس، (1994)، معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، الطّبعة الثّانيّة، بيروت: مكتبة لبنان.
18-مجموعة من العلماء، (1999)، الموسوعة العربية العالمية، الطّبعة الثّانيّة، بيروت: مؤسّسة أعمال الموسوعة.
19-اِبن منظور، (د.ت)، لسان العرب: إبن منظور، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.
20-المهيري أحمد حسين. (2004). الرّحلة الجزائريّة 1922. (الجابري محمّد صالح)، خمس رحلات إلى الجزائر، الطّبعة الأولى، أبو ظبي: دار السّويدي للنّشر والتّوزيع، ص.ص (47-63).